البعدُ التَّداوليّ في تعليمية البلاغة العربية ـ الاستعارة أنموذجاً

الباحثة : سارة خاشة

قسم اللغة والأدب العربي / كلية الآداب واللغات / جامعة: محمد لمين دباغين – سطيف2

تاريخ الاستلام : 2020/11/22
تاريخ القبول : 2020/12/8

الملخص:

إنّ تعليميّة اللّغات تسعى في مقاربتها للعملية التّعليمية للمادة اللّغوية إلى الرد على الأسئلة التي تتعلق بالمادة الدراسية نفسها وطرائق تدريسها والأهداف المرجوة من تدريس هذه المادة اللّغوية، والحاجات التعليمية للمتعلم ، وعلى هذا الأساس نحاول بيان أهمية التعليمية في تدريس البلاغة باعتبارها مادة لغوية ، إذ تقتضي التعليمية أن يكون معلم اللغة محيطاً بالنظريات، وكذا بطرائق اللغات وأساليب تدريسها لأن المعرفة تساعد في تكوين فكرة واضحة وشاملة فن اللغة التي هو بصدد تعليمها، مما ينعكس بالإيجاب على طريقة تدريسه لها..

وإنّ إعداد الكتب المدرسية ، ولاسيما مادة اللغة العربية ، ومنها البلاغة العربية بمختلف أطوارها التي تدرس في المدارس ، لها أثر كبير في تقويم اللسان وتنمية ذوق التلميذ ، ففنون البلاغة كثيرة بيد أننا نركز في هذه المداخلة على الاستعارة بصفتها معلماً بلاغياً يتعلَّمُهُ التلميذ في السنة الرابعة للمرحلة المتوسط في الجزائر ، ويمتحن فيه ، لذا سيتجه بحثنا في مسارين أساسيين يبحثان عن الإشكاليتين الآتيتين هما : :

–هل تعدّ الاستعارة في كتب التعليم من أدوات الوصف في حين يعدُّها الدرس التداولي أداة حجاجية ذات كثافة دلالية وقوة إقناعية ، وهل يمكن عدّ الاستعارة مؤشراً من مؤشرات النّمط الحجاجي؟ ، هذا ما يمكنُ الإجابة عنه في هذه الصفحات.

الكلمات المفتاحية : التّعليمية ، التّداولية ، الاستعارة ، الحجاج.

The Pragmatic Dimension in the Educationalism of the Arabic Rhetoric

-Metaphor as a model-

researcher: Sarrah khacha Department of Arabic Language and Literature / College of Arts and Languages / University of Muhammad Lamine Dabbaghine - Setif 2

Khachasarra19@gmail.com

Receipt date: 22/11/2020

Date of acceptance: 8/12/2020

Abstract:

The educationalism of languages seeks, in its approach to the educational process of the linguistic subject, to answer questions related to the subject itself, methods of teaching it, the desired objectives of teaching this linguistic subject, and the educational needs of the learner. On this basis, this article tries to demonstrate the importance of educationalism in teaching rhetoric as a linguistic subject, as it requires educational However, we focus this intervention on metaphor as a rhetorical teacher that the student learns and examines in it. Our research will go in two main tracks that search for the following two problems:

Is borrowing in education books a description tool, while the deliberative lesson considers it an argumentative tool with semantic intensity and persuasive power, and can the metaphor be considered an indicator of the orbital pattern

Keywords: Didactic, Deliberative, Metaphor, Pilgrims

المقدِّمة:

تعليمية البلاغية العربية:

إنّ تعليميّة اللّغات تسعى في مقاربتها للعملية التّعليمية للمادة اللّغوية إلى الرد على الأسئلة التي تتعلق بالمادة الدراسية نفسها وطرائق تدريسها والأهداف المرجوة من تدريس هذه المادة اللّغوية، والحاجيات التعليمية للمتعلم، وعلى هذا الأساس نحاول بيان أهمية التعليمية في تدريس البلاغة باعتبارها مادة لغوية ، إذ تقتضي التعليمية أن يكون معلم اللغة محيطا بالنظريات، وكذا بطرائق اللغات وأساليب تدريسها لأن المعرفة تساعد في تكوين فكرة واضحة وشاملة فن اللغة التي هو بصدد تعليمها، مما ينعكس بالإيجاب على طريقة تدريسه لها.

فإذا أسقطنا هذا الإجراء على تدريس مادة البلاغة فإنّ على المعلّم أن يعرف اللغة العربية أولا من حيث نظامها الصوتي والمعجمي، والتركيبي والدلالي، والبلاغي، والتداولي، وكذلك مستويات التأدية اللّغوية، لأنّ ذلك من شأنه أن يسهّل معرفة مادة البلاغة باعتبارها جزء من اللغة العربية (رضا ، 2002م ، ص 154– 155) ، كما يجب عليه أن يعتني بالطريقة المناسبة لكلّ درس، وذلك باطّلاعه على ما جاءت به الأبحاث اللسانية والعلمية في مجال تعليمية اللغات، مستفيدا بهذه الخبرة بإيصال متعلميه إلى حدّ إدراك معاني الألوان البلاغية في مختلف الخطابات ، وفهم دواعي ورودها بتلك الأشكال، واكتشاف الوظائف التي تؤديها في كل تمظهر ثم تعويدهم على الممارسة والتطبيق، وذلك بالتدريب الذي له قيمة بيداغوجية هامة في تعليميّة البلاغة حتى يُمكّن المتعلم في الاحتراز عن الأخطاء ويساعده على امتلاك القدرة لممارسة الحدث اللغوي، ويقوّي ملكته اللغوية.

تعلمية البلاغية العربية:

مفهوم البلاغة:

البلاغة في أبسط تعاريفها وأوفاها هي أن تُبلّغ المعنى قلب السّامع فتمكّنُه في نفسه كتمكُنّه في نفسك، كما ذكر العسكري (العسكري ، 2006م ، ص 116.) .

ومعنى التّمكين أن تحمل المخاطب على الانتباه لكلامك، وتقليب معانيه في فكره ووجدانه، حتى ينتهي به الحال إلى تشربها في فوائده، وتمثلها في خياله، والإقرار بها في ضميره، والاستسلام لها في كيانه، وهذا الذي يعبر عنها بالإقناع فالبلاغة إقناع بعد إفهام، ولا بلاغة حيث يحصل إفهام ولكن دون إقناع.

وكل كلام إنما هو خطاب مشروط فيه قصد التواصل مع الغير، وكل خطاب إنما هو حجاج يقصد به التوجه بالدعوى إلى المخاطب ومحاولة حمله على التّسليم والإقناع (عبد الرحمن ، 1898م ، ص226).

فالبلاغة إذن هي فنّ الاقناع والاستمالة، والحجاج أحد وسائلها إلى ذلك، إذا قصدنا به معناه الضيق الذي هو استخدام الدليل، أو إقامة الحجة العقلية، لإثبات الدّعوى، وهو كلّ مصادر قوّتها في ذلك، إذا قصدنا به معنى أوسع وهو كل ما يتوسَّل به لإقناع المخاطب (بومنجل ، 2015 ، ص156).

تعريف العملية التعليمية:

يعرفها (كاج/kadj): بقوله: نعني بالعملية التعليمية في مجال البحث: "كلّ تأثير يحدث بين الأشخاص، يهدف إلى تغيير الكيفية التي يسلك وفقها الآخر، ويتضمّن هذا التحديد في إطار التأثير المتبادل بين الأشخاص باستثناء العوامل الفيزيائية، والسوسيولوجية، والاقتصادية، التي تؤثر في سلوك الأفراد مثل إبعادهم الفيزيائية، أو حرمانهم منه فالتأثير المقصود إذن هو الذي يعمل على إحداث تغيير في الآخر، بفضل وسائل تصويرية، أي بطريقة التي تجعل من الأشياء والأحداث ذات مغزى بالنسبة بالأفراد"(الدريج ، 2001م ، ص14).

وعليه، فإن العمل التّعليمي يركّز على ثلاثة أقطاب أساسية هي: المتعلّم، والمعلم والمعرفة أو المادة العلمية.

لذلك كان موضوع بحثنا: تعليمية الاستعارة في إحدى أطوار التّعليم المتوسط، محاولين معرفة طريقة تدريسها وبالتحديد في السنة الثالثة متوسط.

ويعتبر الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل التعليمية التي تساعد المعلم على تنفيذ المنهاج، والمتعلم على اكتساب الكفاءة، وهو يضم النشاطات التعليمية والتطبيقية اللغوية من خلالها يسعى إلى تنمية القدرات والكفاءات القاعدية لدى المتعلمين، فهو يغير المرافق لدائم للمتعلم في جميع مراحل تعلمه.

يعتمد الكتاب على المقاربة النصية في تناول المادة اللغوية في نحوها وصرفها وتركيبها وبلاغتها، لذلك من المهمّ أن تكون النّصوص المختارة والمنتقاة مطابقة لأهداف المنهاج، وللسنة الاجتماعية التي ينشأ فيها المتعلم، وفي نفس الوقت متفتحة على المستجدات والتطورات الحاصلة في العالم ومواكبة التطور التكنولوجي.

ونشاط البلاغة العربية ضروري للناشئة في مرحلة التعليم المتوسط كون هذا مجمع في طبيعته بين جانبين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما جانبا: العلم والفن، وهما مهمان لتنمية شخصية المتعلم المبتدئ، عن طريق تضمين البلاغة الجوانب التربوية فهي تتحقق بعضا من وظائف اللغة العربية وتكشف لمتعلمها عن دقائق اللغة، وأسرارها، وتنمي لديهم مهارات التذوق والنقد، والقدرة على المفاضلة مما يجعلها قادرة على الإقناع والتأثير، فالبلاغة العربية ليست علما من العلوم يراد بها زيادة معلومات جديدة للمتعلمين، وليست مادة دراسية يعتمد في دراستها على التصورات المنطقية ولكنها في الأصل فن أدبي له قواعده وتطبيقاته.

علاقة التداولية بالعملية التعليمية:

شددت التداولية على الدور الذي يؤدّيه المتخاطبون في التواصل فأحوال المتكلّمين والسّامعين ومقامات التّلفظ من الأمور المهمّة التي أولتها التداولية عنايتها في تحليل الخطاب، وإنّ العناية بالمتخاطبين ومقامات التّلفظ، فضلا عن مفاهيم تداولية كالأفعال الكلامية والاقتضاء، نجد لها جذورا في البلاغة الغربية وقد تشرّبت بها أذهان دعاة التداولية، فبرزت في رؤاهم وأفكارهم(منصور العزاوي ،2017م ، ص160) .

وتهتم التداولية بكلّ أشكال التّفاعل الاجتماعي والتّفاعل الخطابي، ودراسة المعطيات الخطابية المتعلقة بالتّلفظ، إنّها تهتم بالعملية التّواصلية في كل أبعادها، النفسية والاجتماعية والإيديولوجية.

وهي تمثل علم الاستعمال اللغوي وأنّها بحق علم جديد في التواصل، ومن بين الأسئلة التي تحاول الإجابة عنها:

1 –ماذا نفعل عندما نتكلم؟

2–من يتكلم؟

3–ومن يخاطب؟

4–ولماذا يتكلم على هذا النحو؟

5– كيف يمكن أن يخالف كلامنا مقاصدنا؟

6–ما هي أوجه استخدام اللغة الممكنة؟

فالتداولية هي ذلك العلم الذي لا يكتفي بوصف الأشكال اللّغوية، وإنّما يتعدى إلى وصفها أثناء التّواصل يقول مسعود صحراوي: ليست علمًا لغويًا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وقصر البُنى اللّغوية ويتوقّف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"(صحراوي ، 2005م ، 16).

وقد اهتمت المقاربة التواصلية المنبثقة عن اللسانيات التداولية في مجال التّعليم والتّعلم بالتركيز على تطور قدرة المتعلم التواصلية وتفعيل مهارته التعليمية وتحقيق طلاقته اللغوية، حيث يرى أصحابها أنّه لا يكفي أن يكون المتعلّم قادرا على قراءة الجمل وكتابتها بشكل سليم، بل يجب اكتساب القدرة على استعمال هذه الجمل، والعبارات في مواقف تواصلية معينة (شيباني ، 2014م ، ص170).

فالعملية التّعليمية في الوقت الحاضر تستند على مقولات البحوث التداولية التي أسهمت في مراجعة مناهج التعليم ونماذج الاختبارات والتمارين، وعدّت البعد التداولي للّغة أحد أهداف العملية التعليمية، كما انتقدت طرائق تدريس اللغات الأجنبية التي تقابل لغات متتالية وأناس مثاليين في مواقف مثالية بعيدا عن أي سياق اجتماعي ودعت إلى تجاوز تدريس أنماط الترميز إلى تدريس أنماط التأطير.

تأخذ التعليمية بعين الاعتبار الأسئلة المتعلقة بإعادة التعلمية والتي تسعى جاهدة إلى تكريس نتائج تعلمية محددة في ضوء المناهج التربوية، وأول هذه الأسئلة:

لماذا: سؤال متعلق لأهداف المراد تحقيقها، فتحديدها الدقيق من شأنه أن يحسم للمتعلمين نهج العمل بوضوح من خلال الإعلان عن الإنجازات المطلوبة منهم.

لماذا: سؤال موجه إلى ماهية المضامين، المقررات من خلال علاقتها بخصائص المتعلم الاجتماعية، الثقافية، العلمية... ومدى انسجامها مع المادة المعرفية.

لمن: سؤال يبحث في مشاكل المتعلمين السيكولوجية، ويأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية بين المتعلمين، سواء كانت عقلية أو جسدية، أو عمرية(بخوش محمد ، 2000م ، 49-50).

ماذا: طبيعة الموضوعات المنتقاة والمفتوحة للتعليم (سعيدة كحيل ، 2009م ، ص 44) ، من حيث كمها وكيفها ، وكذا المفاهيم التي تتماشى مع احتياجات المتعلمين وتجيب عن هذا السؤال، اللسانيات التطبيقية وهو تخصص يتداخل كثير مع التعليمية (إبرير، 2007م ، ص 9).

وقد ولدت التَّداوليَّة من رحم الفلسفة كما هو معروف ، لكنها من فلسفة أقل غموضا، وأكثر ميلا إلى البساطة التي دعت إليها الفلسفة التحليلية، وهذا لا يعني أن الفلسفة الحديثة تنشد الكلام الخالي من العدول عن النسق المنطقي للكلام، بل إنها تعتمد في ترتيب الأفكار على نص تداولي بلاغي يحاول أن يحلل الأشياء ويقف على الحقيقة من خلال انزياحات فكرية. أما موقف الاستعارة من هذا التقديم، فإنها تقدم صورة تقريبية للمسائل الفلسفية العميقة التي تقدمها الفلسفة عن الأشياء (بلقرينة محمد ، 2015م ، ص 105) ، فهي إذن في الفلسفة أقرب إلى تصوير المركب، أما في إطار التداولية فهي وسيلة لتحقيق غايتين: إنجازية تأثيرية وجمالية.

لا يتكلم التداوليون على صدق الاستعارة ؛ لأن صدقها من الناحية الحرفية معدوم، فهي تخرق قاعدة النوع والكم والطريقة والمناسبة من قواعد الحوار (الصمعي ، 2001م ، ص 237) ، لكن لنا قولاً في الاستعارة من الناحية التداولية وهو أن جزءا منها يثبته الجانب التطبيقي لموضوعنا، فالاستعارة كي توصل الحقيقة، وتقعد مضمونها في الأذهان، على صانعها أن يراعي المخاطب، وينظر في مقدرته على استيعابها، وإلا استعجمت على سامعها، فنحن إما أن نتكلم جازمين تحقق الإفهامية أو نلتزم الصمت.

وقد أحسن هابرماز (Jürgen Habermas) في تمييزه بين العمل والفعل والنشاط ، فالعمل عنده يمتلك صفة مادية ، والفعل والنشاط يمتلكان صفة تخيّلية تتجاوز المادي إلى اللغوي الذي يهتم بتحقيق التفاعل بين اللغة ومحيطها (فيري ، 2006 ، ص 18) .

والاستعارة بمعناها التداولي -إن صح التعبير- تعني جزءاً من ذلك "التصرف أو الفعل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"(اجعيط ، 2012م ، ص61).

"إن الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة، وهذه الشروط مقننة ومتحققة في اللغة"(اجعيط ، 2012م ، ص 61) .

"إن الرؤية التداولية للاستعارة تقوم على "ربط تأويل الاستعارة بمبادئ المحادثة وتحديدا مبادئ جرايس الأربعة، فيمكن النظر إليها على أنها نوع من استغلال مبدأ أو أكثر من هذه المبادئ الأربعة، ويفيد ربط مبادئ جرايس بالاستعارة في جانبين:

1- تساعد على تحديد الاستعارة في السياق الاتصالي ، إذ تساهم في إقصاء أي تفسير حرفي، والإبقاء على التفسير الاستعاري.

2- تساعد على تحديد التفسير الأنسب للاستعارة من بين التفسيرات الممكنة، إذ يقوم القارئ أو المستمع في عملية الاتصال باختيار التفسير الأنسب للاستعارة استنادا للمبادئ"(كادة ، أطروحة دكتوراه ، 2012م ، ص 377) . والاستعمال الاستعاري الذي وظف في عينة البحث لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا؛ لأن المتكلم يحترز تعددية المعنى التي هي –في إطار عينة البحث– غموض ومتاهة.

مفهوم الاستعارة وحجيتها:

تعد الاستعارة مركز الحجاج، وأهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه نم نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ وهذا ما عبر عنه "طه ع الرحمن العلاقة الاستعارية هي أدلّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج"(ع الرحمن ، 1898م ، ص233) ، وهذا للطاقة الحجاجية التي توفرها للمتكلم ليقتنع بتركيب استعاري حجاجي، ومنه نشير إلى: جمالية الإرسال من أجل التأثير في الملتقى، وأسر اتجاهه، فيتلاذذ باستقبال الرسالة الكلامية المبثوثة إليه في أحسن صورة" (مرتاض ، 2009م ، ص 226–227) ، وهو الأمر الذي يدعونا إلى أن نبيّن الأبعاد الحجاجية للاستعارة .

فالاستعارة تعني : طلب العطية من أصلها وأخذها إلى موقع يلائمها فتسدّ فيه حاجة، وتلهي له رغبة، وتمنح منه ذوقا، وفي ذلك أخذ من المستعير، وعطاء من المعير، ومناوبة بينهما ، وتداول للعطية.

ويرى أبو الهلال العسكري أن الاستعارة نقل العبارة موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرفي الذي يبرز فيه (العسكري ، 2006م ، ص 85).

ويعرفها القاضي الجرجاني بقوله : "إنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار في الأصل، ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين إحداهما إعراض عن الآخر (الجرجاني ، 1986م ، ص 268).

أقسام الاستعارة:

تنقسم الاستعارة على قسمين : مكنية وتصريحية.

المكنية : وهي التي يذكر فيها المشبه ويحذف المشبه به، مع ترك صفة من صفاته أو لازمة من لوازمه وإعارتها للمشبه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والطلاقة هي المشابهة، أو هي التي اختفى لفظ المشبه به، واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه (مطلوب ،1980م ، ص 218).

الاستعارة التصريحية:

تقوم على حذف المشبه والتصريح بالمشبه به، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي أو هي: " ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه" (مطلوب ،1980م ، ص217).

الجانب التطبيقي

يمكن عند هذه النقطة من البحث الاتيان بأمثلة توضيحية ملموسة من كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط، وقد لجأنا في هذا المقام إلى التوضيح لغرض التبسيط.

فالاستعارة صناعية تحيي الصور والتّجارب الحسية التي تشخّص المعنى وتوضحه، ومثال ذلك:

"استمر الرجل على هذه الحال جاعلا من نفسه ميدانا لمعركة عنيفة"

نلحظ أنّ النّفس لا تكون ميدانا للمعركة، وإنّما السّاحة هي الميدان، فهنا استعارة مكنية، حيث ذكر المشبّه ألا وهو النّفس وحذف المشبه به. ومهما يكن من شيء فإنّ تلك الخصّيصة بيّنت أنّ التّوجه يكون شطر الأشياء التي يوجد فيها عنصر تداولي غايته إفهام المخاطَب. فالصورة تؤدي أثرا رئيسا في مرحلة ثانوية استعارية، ومن أجل هذا كان التأويل موجودا وواضحا فالتداولية لا تعبّر بشيء من الغموض بل توضح المعنى من تطوير المعنى الثانوي، "فالاستعارة عند التداوليين ليست حلية أو زخرفا، بل أكثر من قيمة انفعالية، لأنّها تعطينا معلومات جديدة، وبوجيز العبارة، تخبرنا الاستعارة شيئا جديدا عن الواقع، كما أنّها وسيلة إنتاج الدلالات وتأويلها" (قالط ،2014م ، ص 249).

وإذا أنعمنا النّظر في قول الكاتب :

"حدّثتني نفسي بالهجرة للمشاركة في المسابقة"

فالنفس لا تحدّث الشخص، وإن كانت الفكرة تجمع بين القضايا المستعارة من أجل التفاعل البشري، إذن ثمّة تمييز بين المعنى النحوي "الحرفي" والمعنى الاستعاري الذي قال به روّاد التداولية، ونلحظ أنّ مشكلة الاستعارة في القول الذكور آنفا هي مشكلة لغوية، فليس التفسير حرا كما يريد السامع تأويله، فالمنطوق الحرفي الاستعاري لا يفي بالتّأثير وهذا ما يقود إلى عدم الإقناع، فالاستعارة تتكون من عناصر لغوية وأخرى غير لغوية؛ اللغوية هي أنّ الانسان هو الذي يتكلّم لا النفس، فهذا التّصور هو ذهني مرتبط ارتباطا وثيقا بمبدأ اللّغة الأصلي إذا ما علمنا أنّ الاستعارة هي نوع من أفعال الكلام غير المباشر، غايتها تفهيم المستمع وتوضيح الفكرة المرادة له من غير مبالغة. فهي" تعدّ حالة تواصلية يراد بها إيصال المعنى بطريق غير مباشر، وهذا يستدعي وجود تفاهم بين طرفي عملية التخاطب، لأنّ هناك تنافرا بين ما يريد المتكلّم إيصاله وبين ظاهر جملة الملفوظ"(الرقبي ،2010م ، ص 376).

فقول القائل: "حدّثتني نفسي". يريد أن يبيّن أنّ الكلام ذاتيّ داخلي لا يوجد مشارك معه، لكن السّامع لهذا القول يعرف المغزى من ورائه، فتأويل اللّفظ يتم بوسائل كثيرة مع وجود أغراض تداولية كثيرة، حيث يعمل المتكلّم في الاستعارة على " تجاوز المعنى الحرفي إلى معنى غير مباشر يهدف تحقيق مقصوده التّواصلي وما يدفعه إلى اقتراح سيرورة استدلالية على مخاطبه، تمكّنه من

الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المراد" (بوزناشة ،2015–2016 ، ص 358) ، لأنّ إضافة الصفات الحية على أشياء غير حيّة هو غاية الاستعارة المكنية.

وتكمن حجاجية الاستعارة في التغيير الذي تحدثه في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، في لا تسمح للمتلقي بمشاركة المتكلّم في الفكرة أو الدعوى التي يدّعيها فقط، بل هي تدفعه أن يشاركه انفعاله وأحاسيسه (أوكان ، 2001م ، ص 134) ، فالاستعارة تمكين للمعنى في نفس المتلقي قصد إقناعه والتّأثير فيه ، لأنّها أدلّ ضروب المجاز على ماهي الحجاج (قالط ، 2014م، 249).

"وترحل البدو عندما تضمن الأرض بخيراتها":

شبه الكاتب الأرض بإنسان يقع من البخل حيث حذف المشبه به (الإنسان) وأبقى ما يدل عليه (تضمن) على سبيل الاستعارة المكنية.

وتكمن حجاجية هذه الاستعارة في عدّها مقدمة توصل إلى نتيجة نهائية وهي رحيل البدو، جسدها الكاتب في صورة خيالية في شكل استعارة مكنية نظرا لاختفاء المشبه به، وحلول شيء من لوازمه. حيث يجد المتلقي في هذا اللون من التصوير دافعا إيجابيا يعمل الذهن، ويمدّ النظر لتأليف الهيئة الحاملة والصورة الفنية، ذلك أنّ المتلقي في الاستعارة التصريحية يتلقّى الفكرة جاهزة مكتملة العناصر، أمّا الاستعارة المكنية فإنّه يحتاج إلى أن يُعمِل ذهنه ليكمل العناصر الناقصة من الصورة وكأنّه يشترك مع المتكلم في إكمال أجزاء الصورة.

ويمكن تجسيد هذه الاستعارة كواحدة من مجموع "مقدمات" موصلة إلى نتائج وذلك من خلال السلم الحجاجي الآتي:

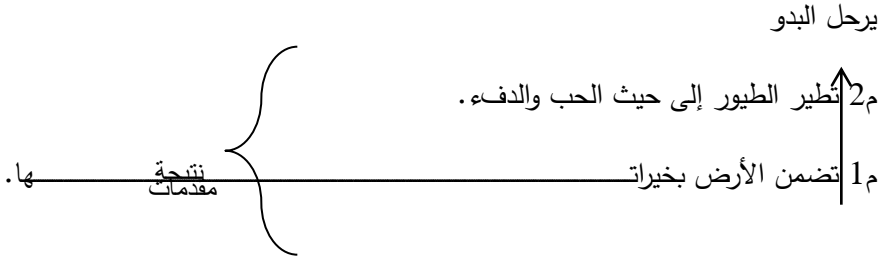

وبهذا تكون العلاقة بين معنى الجملة ومعنى التلفظ الاستعاري نتيجة تفكير منهجي مشترك، وعلاقة استدلالية ، قوامها تعاقد بين المتكلم والمخاطب في سياق تواصلي معين وهذا من صميم بحث تداولي فالاستعارة هنا تتضمن بعدا حجاجيا وجماليا عن طريق تلك السيرورة المرتبطة بين طرفي الخطاب من أجل التأثير والتأثر وبالتالي الإقناع (الرقبي ،2010م ، 376).

والغاية التعليمية تكون تدريجية من حيث السهولة والصعوبة ؛ لذا يكون مجال الاستعمال البلاغي للاستعارة مراعيا أحوال المخاطبين الذين هم من فئة عمرية غير قادرة على تقبل الاستعمالات الاستعارية المركبة ، أو لنشبه ذلك بقولنا: (استعارة معنى المعنى). ومثال مراعاة أحوال المخاطبين في الصياغة الاستعارية:

"واصل باخوم سَيره وفي كلّ مِيلٍ يَغْرِسُ عَلَماً وهُو متلهّفٌ إلى قَضْمِ المزيد مِنَ الأرضِ".

لجأ كاتب النص إلى استعارة قريبة إلى فهم المخاطب، مراعيا المعرفة المتبادلة، مشبها (باخوم) بإنسان شره لا يفكر في شيء سوى أن يأكل المزيد، ليجد نفسه في آخر الطريق واقعا في غَصَّة أهلكته، وغاية الاستعارة توجيه المخاطب وإرشاده لاستغلال الفرص بحكمة وتدبر، وتكمن الاستعارة في تشبيه الأرض بالطعام، فالأرض لا تقضم، بل الطعام هو الذي يتعرض للقضم، وقد حذف الطعام وأبقى على لازمة من لوازمه وهي (القضم). ولا يظن ظان أن سبيل الاستعارة تكون زخرفية يمر عليها السمع من دون إعمال نظر، والذاهب إلى هذا التصور كقائل: "إما أن نتكلم بصفة حرفية وإما ألا نتكلم ، ولا شك في أن من ذهب مذهب الصياغة الحرفية، قد فاته أن الاستعارة تؤدي إلى ترسيخ المعنى وتأكيد المعرفة الجديدة ، فهي بزخرفيتها تعمل على تثبيت الأفكار وديمومتها.

"زمنُ التّواصل شرع البابَ لمواسمَ منَ الجفاف العاطفيّ".

ليس التواصل صحراء ولا العاطفة تجف، وإنما هو من باب الاستعارة، وقد روعيت في هذه الاستعارة مرجعيات المخاطب الاجتماعية، فقد جعل الكاتب التواصل سببا من أسباب التباعد الاجتماعي الممقوت، مشبها التواصل بصحراء دخلت في أثناء المجتمع مسببة جفافا عاطفيا، وقد حذف الصحراء مبقيا على لازمة من لوازمها وهي (الجفاف). وتوصيل المعارف بطريقة أدبية رفيعة تراعي حال المخاطب، يعمل على إثارة العاطفة ولفت الانتباه وتطبيق المعرفة الجديدة كقاعدة في التجارب القابلة. وفرق كبير بين أن نقول: (التواصل الاجتماعي أدى إلى تباعد الناس عن بعضهم). وبين صياغة الكاتب.

ولا جرم أن الصياغات الاستعارية قد راعت أحوال المخاطبين والمرجعيات التي يمتلكونها، فالاستعمالات الاستعارية من حيث ألفاظها كانت في حدود معرفة المتكلم؛ إذ لم يجسد الكاتب استعارات من أحداث تاريخية مجهولة لدى المتكلم؛ لذا فهي تسير في السبيل الصحيحة، وتؤدي غرضين: غرض توجيهي يعمل على رفد المخاطب بالمعارف الجديدة التي تعمل على الإفادة مما رسخ؛ ليطبق في تجارب الحياة. وغرض آخر جمالي فني ينمي ذائقة المخاطب الأدبية.

والتداولية في صميمها بلاغة، والبلاغة فطرة في روع المتكلم العربي، وما جانب الصواب من ذهب إلى حضورها البين في سياق اللغة العامية، والشواهد شاهدة على ذلك، منها: (روح والخير أمامك، أنت ذهب، قلبه يقفز من الفرح...إلخ)؛ ويجرنا هذا الإدراك إلى أن تذوق الأساليب البلاغية في اللغة الفصيحة التعليمية لن يكون صعبا على المتلقي الذي هو مكتسب تلك الفطرة. ولهذا مثال:

"مهما طوّحت بالجميع الأقدارُ في صقيع شرق قاصٍ غريبٍ، فحبُّ الوطن أيتّها (الجزائر البيضاء) من الإيمان".

ها هو يستعير لفعل الأقدار إنسانا ليكون وقع الصورة الاستعارية أكثر تأثيرا في نفسه، فجمال الصياغة ممزوج بتأجج العاطفة لدى المتلقي ، وأيُّ نتيجة تكون بعد ذا ؟! فضلاً عن دلالة الفعل (طوَّحَ) معجمياً ودلالياً.

****

يستبينُ ممّا تقدَّمَ أنّ النظر إلى الاستعارة بوصفها شيئا معيناً "المعنى الحرفي " يستدعى معنى آخر فيه نتيجة وهو مبلغ الوضوح الموجود في الاستعارة .

من الواضح وجود علاقة ذهنية بالاستعارة ومهما يكن من شيء فإن تلك الخصيصة تكون في الغالب غامضة إذ لا بد من وجود شيء ما ينتمي إليه القصد ، إذ يكون معنى الإدراك محمولا بوساطة صور وأحاسيس أغلبها سياقية فالذي يهب اللفظ معنى هو السياق ، فالغرض المنجز في أغلبه غير مباشر وهذا تضمين داخلي لا يمكن التغافل عنه .

إنّ الاطّلاع على المعاني ممكن أن نفهمه ولاسيما في الاستعارة المكنية فهي متعلقة بأشياء نحس بها ونفهم معناها، وما الغاية من تجسيد إلا لإضافة معنى جديد مدرك فالعقل يعنيه ويقصده.

في الاستعارة قد يكون المعنى عبارة عن شيء ما معني، وقد يكون المعنى غير معنيّ الغاية منه توصيل فكرة ما، فالفكرة جزء من التداولية، ولا شك أن التداولية قد تعبر أحيانا عن العاطفة غير المباشرة فتكون التداولية تأثيرية.

List of sources and references:

 Ibn Abbad, Al-Saheb Ismail: Al-Muhit in the Language, translated by Abdel-Halim Al-Najjar, d.

Ibn Manzur Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Lisan al-Arab ,, d i, Sader House for Printing and Publishing, d d.

 Ahmed Matlob, Arabic Rhetoric (Meanings, Statement and Badi`), Dar Al-Kutub Foundation for Printing and Publishing, University of Mosul, 1980

 Al-Azhari, Abu Mansour bin Muhammad Ahmad, Tahdheeb Al-Lugha, Tj: Muhammad Hassan Al-Yassin, d. I, the world of books, d. T.

 Boustani Boutros, Ocean Ocean, Beirut, Lebanon Library, 1977.

 Basheer Ibrier: Teaching of Texts between Theory and Practice, The Modern World of Books, 1st Edition, Irbid, 2007.

 Al-Jarjani: Judge Ali Abdel-Aziz, mediation between Al-Mutanabi and his opponents, under: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, d. I, Modern Library, Beirut, 1986.

 Reda Jamea, Al-Arabiya, a scientific journal published by the Laboratory of Arabic Teaching.

□ Radwan Al-Raqbi, the semantic perception of Arabic rhetoric and the mechanisms of inference Al-Hajaji Abdul Qaher Al-Jarjani as a model.

□ Al-Rummani, Ali Bin Issa: Jokes about the Qur'an Miracle in Three Messages in the Miracle of the Qur'an, Under: Muhammad Khalaf Allah Ahmad and Muhammad Zaghloul Salam, 5th Edition, Cairo, Dar Al Ma'arif, 2008.

□ Al-Zamakhshari, Jarallah, Asas Al-Balaghah, DT, Beirut, Dar Sader, Dar Beirut, 1965.

□ Saida Kahil: Learning translation, an applied analytical study, Modern Book World, 1st Edition, Irbid, 2009.

□ Taha Ar-Rahman: The tongue and the balance, the Cultural Center, Casablanca, 1st Edition, 1898

□ El-Tayeb Chibani: deliberative linguistics and language instruction, Journal of Literature and Languages, Laghouat, Algeria, Issue 13, 2014.

□ Abd al-Malik Boumendjel, The Rooting of Rhetoric (theoretical and applied research in the origins of Arabic rhetoric), i-Setif, 2015.

□ Abd al-Malik Murtad: An introduction to the theory of rhetoric, a follow-up to the concept of rhetoric and its function, Sanawar Magazine, Issue 25, July 2009.

□ Al-Askari Abu Hilal, Book of the Two Industries: Writing and Poetry, translated by Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriyya Library, Sidon, Beirut, 1st Edition, 2006.

□ Omar Okan: Language and Discourse, East Africa, Casablanca, 2001.

Al-Farahidi, Abu Abdul-Rahman Al-Khalil bin Ahmed, Al-Ain, under: Mahdi Al-Makhzoumi, and Ibrahim Al-Samarrai, d i, Al-Hilal Library House.

□ Qulat bin Haji Al-Anzi: deliberative thinking in rhetorical thinking, a study on the deception of rhetoric, The World of Books, Edition 1, 2014

 Kazem Jassim Mansour Al-Azzawi: deliberative thinking in critical thought, The United Arab Company, 1st Edition, Cairo, 2017.

 Muhammad Al-Dureij, Analysis of the Learning Process, Introduction to Teaching Science, Palace of the Book.

 Masoud Sahraoui: The deliberation among Arab scholars, Dar Al-Taleea, Beirut, 2005.

 Mughzi Bakhoush Muhammad, The Pedagogy of Preparation, the series of the fruits of educational seminars, Ali bin Zaid for printing and publishing, Mujahideen neighborhood

 Noureddine Bouznacha, Al-Hajjaj between the Arabic Rhetorical Study and the Western Linguistic Lesson - A Contrastive Study - University of Setif 2, 2015-2016

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ ابن عباد، الصاحب اسماعيل: المحيط في اللغة، تح: عبد الحليم النجار، د ط، القاهرة، الدار المصرية للتأليف، د ت.
- ✓ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،، د ط، دار صادر للطباعة والنشر، د ت.
- ✓ أحمد مطلوب، البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1980.
- ✓ الأزهري، أبو منصور بن محمد أحمد، تهذيب اللغة، تج: محمد حسن آل يس، د. ط، عالم الكتب، د. ت.
- ✓ البستاني بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، 1977.
- ✓ بشير إبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2007.
- ✓ الجرجاني: القاضي علي عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- ✓ رضا جوامع ، العربية، مجلة علمية، يصدرها مخبر علم تعليم العربية.
- ✓ رضوان الرقبي، التصور الدلالي للبلاغة العربية وآليات استدلال الحجاجي عبد القاهر الجرجاني نموذجا.
- ✓ الرّماني، علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط5،القاهرة ، دار المعارف، 2008.

- ✓ الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، د ط، بيروت، دار صادر، دار بيروت، 1965.
- ✓ سعيدة كحيل: تعلمية الترجمة، دراسة تحليلية تطبيقية، عالم الكتب الحديث،ط1، إربد،2009.
- ✓ طه ع الرحمن: اللسان والميزان، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط 1، 1898.
- ✓ الطيّب شيباني: اللسانيات التداولية وتعليميّة اللّغة، مجلة الآداب واللّغات، الأغواط، الجزائر، العدد13، 2014.
- ✓ عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة (بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية)، ط1–سطيف، 2015.
- ✓ عبد الملك مرتاض: مقدمة في نظرية البلاغة، متابعة لمفهوم البلاغة ووظيفتها، مجلة صنوبر العدد 25، يوليو 2009.
- ✓ العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2006.
- ✓ عمر أوكان : اللغة والخطاب ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001.
- ✓ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي، د ط، دار مكتبة الهلال.
- ✓ قالط بن حجي العنزي: التداولية في التفكير البلاغي، دراسة في غرر البلاغة، عالم الكتب، ط 1، 2014.
- ✓ كاظم جاسم منصور العزاوي: التداولية في الفكر النقدي، الشركة العربية المتحدة، ط1، القاهرة، 2017.
- ✓ محمد الدريج، تحليل العملية التعلمية، مدخل إلى علم التدريس، قصر الكتاب.
- ✓ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت،2005.
- ✓ مغزي بخوش محمد، بيداغوجيا التحضير، سلسلة ثمار الندوات التربوية ، علي بن زيد للطباعة والنّشر، حي المجاهدين.
- ✓ نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي –دراسة تقابلية– جامعة سطيف 2، 2015–2016.